مكتبة الآثار السلفية

عقائد السلف

للأئمة

أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي

دكتور

علي سامي النشار

عمار جمعي الطالبي

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
Tıpkıbasımdır

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم يعتن الباحثون فى مجال العقائد الإسلامية ، وأصولها ، بدراسة أو تحليل العقائد السلفية التى تعتمد على صريح القرآن ، وناطق السنة ، والحقيقه أن دراسة الإسلام وعقائده ، لا يمكن أن تكون قائمة على سوقها إن لم تتناول ماكتبه السلف من أهل القرن الثالث والرابع ، وما صنفه من نهج نهجهم من بعدهم ، على توالى العصور ، إلى عهد ابن تيمية (+ ٧٢٨ هـ) ، ومن أخذ عنه من الأعلام ، حتى عصرنا هذا .

ولذلك رأينا أن نتجه لدراسة هذا الجانب الأساسى فى مجال الدراسات الإسلامية ، وأن نعطيه ما يستحقه من عناية واهتمام ، ونعتقد أن أول خطوة فى هذه الدراسة إنما هى نشر هذه المؤلفات الدفينة ، وبعث هذه الرسائل والنصوص التى غفل أكثر الناس عنها ، حتى إن المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالأزهر ، وبقية الجامعات لم تولها أى اهتمام ولا اعتبار فى مناهجها ودراستها ، ذلك أن الدارسين اعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأنظار الغريبة الدخيلة . وآراء عهد انحطاط الحضارة الإسلامية ، مع أن المنهج العلمى التاريخى الصحيح ، يقتضى أن نرجع إلى الأصول الأولى قبل كل شىء .

لقد صنف السلف من أهل القرن الثالث والرابع مؤلفات ، ورسائل كثيرة فى هذا المجال العقائدى الإسلامى ، فتكلم فى ذلك أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك بن واضح الحنظلى (+ ١٨١ هـ) وأبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمى القطان البصرى المحدث الحجة الناقد [+ ١٩٨ هـ] وابن أبى شيبة أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسى [+ ٢٢٥ هـ] وألف فى ذلك كتاب السنة ، ويحى بن بن يحى بكير بن عبدالرحمن بن يحى الحنظلى الحافظ [+ ٢٢٦ هـ]

وأبو عبدالله نعيم بن حماد المروزى [+ ٢٢٨ هـ] ، وعبد الله بن محمد بن عبدالله الجعفى شيخ البخارى [+ ٢٢٩ هـ] الذى ألف « كتاب الرد على الجهمية » والإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم المعروف بابن راهوية شيخ البخارى أيضا [+ ٢٣٨ هـ] ، وألف الإمام أحمد بن حنبل [+ ٢٤١ هـ] كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة » وصنف الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى [+ ٢٥٦] « كتاب خلق أفعال العباد » و « الرد على الجهمية » وألف أبو بكر أحمد بن محمد بن هانىء الأثرم البغدادى تلميذ الإمام أحمد [+ ٢٧٣ هـ] « كتاب السنة » وصنف أبو على حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال تلميذ الإمام أحمد ابن حنبل أيضاً [+ ٢٧٣ هـ] « كتاب السنة » .

وكتب أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى [+ ٢٧٥ هـ] « كتاب السنة » وكذلك فعل أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل الشيبانى البصرى [+ ٢٧٧ هـ] فألف « كتاب السنة » وصنف عثمان بن سعيد الدارمى تلميذ يحيى بن معين [+ ٢٨٠ هـ] « كتاب الرد على الجهمية » وكتاب « الرد على بشر المريسى » ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل [+ ٢٩٠ هـ] ، وصنف أبو بكر أحمد بن على بن سعيد المروزى [+ ٢٩٢ هـ] « كتاب السنة » وألف أيضا أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن مندة العبدى [+ ٣٠١ هـ] « كتاب التوحيد[1] » وتكلم فى ذلك أبو العباس ابن سريج [+ ٣٠٦ هـ] وصنف أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال مرتب آثار الإمام أحمد بن حنبل [+ ٣١١ هـ] « كتاب السنة » وألف أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة [+ ٣١١ هـ] « كتاب التوحيد » .

وكتب أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهانى العسال [+ ٣٤٩ هـ] « كتاب السنة » وألف أيضا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى

(١) عبد القادر بن أحمد الدوسى بن بدران الدمشقى (+١٣٠٨ هـ) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٣٨ هـ) ص ١٦٣ .

[+ ٣٦٠ هـ] « كتاب السنة » وكذلك أيضا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حيان [+ ٣٦٩] فإنه كتب « كتاب السنة » وألف عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى [+ ٣٨٧ هـ] « كتاب الإبانة » وصنف أبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازى اللالكائى [+ ٤١٨ هـ] « كتاب السنن » وكتب فى ذلك من المغاربة أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى الأندلسى [+ ٤٢٩ هـ] « كتاب الأصول » وصنف أيضا فى ذلك أبو ذرعبد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصارى الهروى [+ ٤٣٤ هـ] « كتاب السنة » وألف أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقى [+ ٤٥٨ هـ] كتاب الأسماء والصفات وتكلم فى ذلك فى عدة كتب حافظ المغرب بلا منازع أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى [+ ٤٦٣] وغير هؤلاء كثير[1] .

وابتدأت آراء الجهمية فى القرن الثانى للهجرة ، ولم تلبث مقالة الجهمية هذه ، أن انتشرت فى المائة الثالثة ، وتولى إذاعتها ، والدعاية لها ، والكتابة فيها بشر المريسى [+ ٢١٨ هـ] وهو فقيه ومتكلم ، ينسب إلى المرجئة أحيانا ، وينسب أحيانا أخرى إلى الجهمية ، ويذكر ابن تيمية أن أصل الجهمية ومقالتها يرجع إلى عناصر دخيلة على الإسلام ، لأن جهم بن صفوان [+ ١٢٨ هـ] أخذ مقالته عن جعد ابن درهم ، وقيل أيضا إن جعد بن درهم أخذ التعطيل عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان عن طالوت ، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودى ، أما جعد بن درهم فهو من أرض حران التى كانت فيها عناصر كثيرة من الصابئة والفلاسفة ، ومن ثم فإن مقالة الجهمية ترجع إلى عناصر فلسفية وصابئية ، ويهودية ، وقد أخذ الفارابى [+ ٣٣٩] نفسه عن فلاسفة حران ، كما أخذ جهم بن صفوان عن البوذية أو السمنية ، ولما انتشرت آراء الجهمية ومذهبها فى التعطيل وإنكار الصفات وفى القول بخلق القرآن تصدى لها الأئمة من سلف هذه

(١) ابن تيمية ، الفتوى الحموية الكبرى ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، وطبعت بنفقة محمد صالح بن حسن نصيف ، مطبعة السلفية ، مكة المكرمة ، ١٣٥١ هـ ، ص ١٧ — ٢٠

الأمة بالرد ، وبيان ضلالها وإنحرافها ، وأخذها بما لا يتسق مع الكتاب والسنة، ولا مع نصوصها الصريحة ، الناطقة المبينة ، الواضحة ، التى ليلها كنهارها ، لا يضل عن فهمها إلا من أعمته الغواية ، أو وقع صريعا تحت أقدام الصابئة والفلاسفة ، والدخلاء من الملل والنحل الزائغة ، فتكلم فى ذلك مالك ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم[١] ، وحذروا من مقالاتهم ، ومذاهبهم ، وناضلوا عن الدين . وبنشوء مقالة الجهمية ، نشأ التأويل الذى اعتبر أصل الفتنة فى تعطيل النصوص ، والتجاوز بها عن معانيها التى وضعت لها لغة وشرعا إلى معانى وآراء مدخولة ، تتحملها الباطنية ، والغنوصية ومن اليها من الجمعيات السرية التى كانت ترمى إلى هدم الشريعة ، وإضلال معتقديها ، وبلبلة ما استقر فى قلوبهم ، وامتزج بنفوسهم ، من عقائد واضحة ، لالبس فيها ، ولا شائبة من غموض .

وبذلك يتضح لنا أن السلف هم أول من رد على منكرى الصفات ، وليس إنكار الصفات إلا رأيا فلسفيا ، تسرب إلى صفوف المسلمين ، ويمكن لنا القول بأن رد السلف على أهل التعطيل يعتبر أول خطوة فى الرد على النزعات الفلسفية فى تاريخ الإسلام ، ذلك الرد الذى توسع فيه من جاء بعد ذلك من الخلف ، الذى لم يستطع التخلص من آثار الفلسفة تمام التخلص ، رغم نقضه لها ، ومدافعتها ، كما فعل الكثيرون من أصحاب المقالات .

وقد وصلتنا نماذج جميلة من هذه الردود ، ومن هذا النقد المنهجى السلفى ، للمقالات المخالفة ، والآراء الدخيلة . ومن هذه النماذج الناقدة التى ردت على الزنادقة والجهمية ، كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة » لأحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، وناصر الملة . الذى رأينا أن نفتتح به هذا السفر من رسائل السلف وكتبهم . ويحسن بنا أن نترجم لمؤلف كل رسالة أو كتاب ثم نقول كلمة عن رسالته أو مؤلفه . ونبدأ بشيخ السنة وإمام السلف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

---

(١) ن م . ص١٥

١ — الإمام أحمد بن حنبل .

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان[١] ولذلك يلقب بالشيبانى ، حملت به أمه بمرو وولدته ببغداد فى شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ أما أبوه فهو والى سرخس واسمه محمد توفى سنة ١٧٩ هـ نشأ ببغداد، وتولت أمه تربيته ، وظهرت عليه لوائح النجابة فى صباه ، ومن شدة رغبته فى أخذ الحديث أنه كان يذهب إلى المساجد مبكرا حتى إن أمه كانت تشفق عليه . وتدعوه لأن ينتظر حتى يصبح الناس[٢] ، ولم يقتصر فى أخذ العلم على علماء بغداد فقط ، بل إنه رحل الى الكوفة ، والبصرة ، ومكة والمدينة ، واليمن والشام ، وأرض فارس ، وخراسان ، ثم عاد الى بغداد .

ابتدأ الاشتغال بالحديث وعمره ست عشرة سنة ، وكان أول سفر له ، رحلته الى الكوفة سنة ١٨٣ هـ وذهب الى البصرة سنة ١٨٦ هـ ودخل مكة للطلب على يد الإمام سفيان بن عيينة سنة ١٨٧ هـ ورحل الى اليمن للأخذ على المحدث المشهور عبد الرزاق الصنعانى سنة ١٩٧ هـ ، وقد قال فيه الإمام الشافعى [+ ٢٤٠] : [أحمد بن حنبل إمام فى ثمان خصال : إمام فى الحديث ، امام فى الفقه ، إمام فى اللغة ، إمام فى القرآن . إمام فى الفقر . إمام فى الزهد ، إمام فى الورع . إمام فى السنة)[٣] . أخذ الإمام أحمد عن شيوخ كثيرين أحصاهم الحافظ عبد الرحمن بن الجوزى فى كتابه « مناقب الإمام أحمد بن حنبل[٤] . وأخذ

---

(١) أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمى (٨٦٠ — ٩٢٨هـ)، المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ ص ٦

(٢) ن . م . ص ٧

(٣) ن . م ص ٩

(٤) نشره محمد أمين الخانجى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (١٣٤٩ هـ) ص٣٣ — ٥٦

منهم جم غفير من الشيوخ والأئمة . فى الحديث والفقه . وغيرهما .

ذهب الإمام أحمد إلى أن الإيمان قول وعمل . وإلى أنه يزيد وينقص . أما موقفه من القول بخلق القرآن . فهو معروف فى تاريخ الأمة الاسلامية .

إذ كان موقفه فى تلك الفتنة التى امتحن فيها أشد امتحان ، موقفا فريداً ، رائعا . لم يقف أحد من الفقهاء ، ولا من المحدثين ذلك الموقف الذى وقفه الإمام أحمد . وبه أثبت أن المسلم الحق لا تزعزعه الزلازل . ولا تأخذ قلبه الفتن . ولا توهنه الشدائد ولا تقف أمامه الصعاب ، مهما يكن مصدرها أو مأتاها . لم ترتعد فرائص أحمد بن حنبل من قوة السلطان . إذ وقف صابرا محتسبا . أمام المأمون ، والمعتصم ، والواثق . وما كان قد سلط عليه من عذاب . وضرب السياط المبرح ، الذى قام به جلادوه ، الذين أسالوا دمه ، ومزقوا من جسده . وحبسوه فى ظلمات السجن ، ولكنه ثبت ، وصبر ، واشتد مراسه .

ومات الخلفاء الثلاثة ، وبقى من بعدهم ، محييا للسنة ، قاتلا للبدعة . ولذلك سماه أهل عصره : ناصر السنة وقامع البدعة ، وإمام أهل السنة . وساعده على ذلك المتوكل ، الذى ناصر السنة ، ورفع المحنة ، وأمر بنشر أحاديث الصفات والرؤية[1] ولقد أوذى كثير من المحدثين معه ، وامتحنوا ولقوا فى سبيل ذلك ما لقوا أمثال أبى نعيم بن دكين ، وأبى عمرو الحارث بن مسكين ، والإمام أحمد ابن نصر الخزاعى ، وأبا مسهر الغسانى ، عبدالله الأعلى بن مسهر ، ولكن اشتهر من بين هؤلاء جميعا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل .

أما ما يتعلق بالصفات فإنه صرح فيما يرويه ابنه عبد الله بقوله : (هذه الأحاديث

---

(١) مقدمه محمد محيى الدين عبد الحميد ، للمنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد ص ١٢ .

نرويها كما جاءت)[1] وقال أيضا بأن ما يرجع إلى عالم الغيب لا ينبغى الخوض فيه ، وإنما يفوض أمره إلى الله ، وصرح بذلك وبينه فقال : « من صفة المؤمن من أهل السنة ، والجماعة إرجاء ما غاب عنه من الأمور ، إلى الله » .

كما جاءت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يرون ربهم » فيصدقها ولا يضرب لها الأمثال [2] ووقف من أهل الكلام موقفا معارضا . فقال : (لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة)[3] ولم يقبل أبدا آراء الواقفة ، واللفظية ، والجهمية ، والقدرية ، إذ انه أعتبرها من أهل البدع ، المخالفة للسنة ، وقد عبر لنا عن جملة من الاعتقادات فيما رواه ابن الجوزى عن عبد الملك بن أبى القاسم عن عبد الله بن محمد الأنصارى عن أبى يعقوب وأحمد بن حمزة ، وغيرهما عن أحمد بن محمد بن عيسى عن يعقوب بن إسحق عن سعيد بن خشنام مولى بنى هاشم عن محمد بن يونس السرخسى عن محمد بن حميد الأندرانى .

قال . قال أحمد بن حنبل : صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . وأقر بجميع ما جاءت به الأنبياء والرسل . وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه : ولم يشك فى إيمانه . ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله ، وفوض أمره إلى الله ، ولم يقطع بالذنوب . العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شىء بقضاء الله ، وقدره . الخير والشر جميعا ، ورجا لمحسن أمة محمد ، وتخوف على مسيئهم . ولم ينزل أحدا من أمة محمد الجنة بالإحسان ؛ ولا النار

---

(١) أبو الفرج ؛ عبد الرحمن بن الجوزى ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٢) ن . م . ص ١٥٦ .

(٣) ن . م . ص ١٥٦ .